

تفسير ابن كثير

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ

وقوله تعالى : (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) قال بعضهم :
الضمير في (فجعلناها) عائد على القردة ، وقيل : على الحيتان ، وقيل : على العقوبة ،
وقيل : على القرية ؛ حكاه ابن جرير . والصحيح أن الضمير عائد على القرية ، أي : فجعل
الله هذه القرية ، والمراد أهلها بسبب اعتدائهم في سبتهم (نكالا) أي : عاقبتهم
عقوبة ، فجعلناها . عبرة ، كما قال الله عن فرعون : (فأخذ الله نكال الآخرة والأولى
([النازعات : 25] . وقوله : (لما بين يديها وما خلفها) أي من القرى . قال ابن عباس
: يعني جعلناها بما أحللنا بها من العقوبة عبرة لما حولها من القرى . كما قال تعالى :
ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون ([الأحقاف : 27] ،
ومنه قوله تعالى : (أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) الآية [الرعد : 41] ،
على أحد الأقوال ، فالمراد : لما بين يديها وما خلفها في المكان ، كما قال محمد بن
إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : لما بين يديها من القرى

وما خلفها من القرى . وكذا قال سعيد بن جبیر (لما بین یديها وما خلفها) [قال] من

بحضرتها من الناس يومئذ . وروى عن إسماعيل بن أبي خالد ، وقتادة ، وعطية العوفي : (

فجعلناها نكالا لما بين يديها) [وما خلفها] (قال : ما [كان] قبلها من الماضين في

شأن السبت . وقال أبو العالية والربيع وعطية : (وما خلفها) لما بقي بعدهم من الناس من

بنی إسرائيل أن يعملوا مثل عملهم . وكان هؤلاء يقولون : المراد بما بين يديها وما خلفها

في الزمان . وهذا مستقيم بالنسبة إلى من يأتي بعدهم من الناس أن يكون أهل تلك القرية

عبرة لهم ، وأما بالنسبة إلى من سلف قبلهم من الناس فكيف يصح هذا الكلام أن تفسر

الآية به وهو أن يكون عبرة لمن سبقهم ؟ هذا لعل أحدا من الناس لا يقوله بعد تصوره ،

فتعين أن المراد بما بين يديها وما خلفها في المكان ، وهو ما حولها من القرى ؛ كما قاله

ابن عباس وسعيد بن جبیر ، والله أعلم . وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع عن أبي

العالية : (فجعلناها نكالا لما بين يديها) أي : عقوبة لما خلا من ذنوبهم . وقال ابن أبي

حاتم وروى عن عكرمة ، ومجاهد ، والسدي ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، نحو

ذلك . وحكى القرطبي ، عن ابن عباس والسدي ، والفراء ، وابن عطية (لما بين يديها)

بين ذنوب القوم (وما خلفها) لمن يعمل بعدها مثل تلك الذنوب ، وحكى فخر الدين
ثلاثة أقوال : أحدها : أن المراد بما بين يديها وما خلفها : من تقدمها من القرى ، بما عندهم
من العلم بخبرها ، بالكتب المتقدمة ومن بعدها . الثاني : المراد بذلك من بحضرتها من القرى
والأمم . والثالث : أنه جعلها تعالى عقوبة لجميع ما ارتكبه من قبل هذا الفعل وما بعده ،
قال : وهذا قول الحسن . قلت : وأرجح الأقوال أن المراد بما بين يديها وما خلفها : من
بحضرتها من القرى التي يبلغهم خبرها ، وما حل بها ، كما قال : (ولقد أهلكنا ما حولكم
من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) [الأحقاف : 27] وقال تعالى : (ولا يزال
الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم) [الرعد : 31] ، وقال (
أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) [الأنبياء : 44] ، فجعلهم عبرة ونكالا
لمن في زمانهم ، وعبرة لمن يأتي بعدهم بالخبر المتواتر عنهم ، ولهذا قال : (وموعظة
للمتقين) وقوله تعالى : (وموعظة للمتقين) قال محمد بن إسحاق ، عن داود بن الحصين
، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (وموعظة للمتقين) الذين من بعدهم إلى يوم القيامة
وقال الحسن وقتادة : (وموعظة للمتقين) بعدهم ، فيتقون نعمة الله ، ويحذرونها . وقال

السدي ، وعطية العوفي : (وموعظة للمتقين) قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم . قلت

: المراد بالموعظة هاهنا الزاجر ، أي : جعلنا ما أحللنا بهؤلاء من البأس والنكال في

مقابلة ما ارتكبه من محارم الله ، وما تحيلوا به من الحيل ، فليحذر المتقون صنيعهم لئلا

يصيبهم ما أصابهم ، كما قال الإمام أبو عبد الله بن بطة : حدثنا أحمد بن محمد بن

مسلم ، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا

محمد بن عمرو [عن أبي سلمة] عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

: لا تتركبوا ما ارتكب اليهود ، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل . وهذا إسناد جيد ،

وأحمد بن محمد بن مسلم هذا وثقه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي ، وباقي رجاله

مشهورون على شرط الصحيح . والله أعلم .